بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية التربية

قسم اللغة العربية

بحث تكميلي لنيل درجة البكالاريوس بعنوان :

موازنة في شعر الحكمة بين الشاعرين زهير بن أبي سلمى والمتنبي

Balancing the poetry of wisdom among the poets Zuhair bin Abi Salma and Mutanabi

إعداد :

1.فتحية عبدالعال إبراهيم

2.آمنة كرم الله محمد المهدي

3.شيماء أحمد يحيى

4.الخنساء عبد النبي يوسف

إشراف الدكتور :

الفاضل أحمد الخضر

2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيـــة

قال تعالي :

((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)).

صدق الله العظيم

سورة العلق (1-5)

الإهداء

إلىمن جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى والدي العزيز ،،،

إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها

إلى من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه وعندما تكسوني الهموم اصيح في بحر

حنانها ليخف من آلامها أمي،،،

إلى أخواتي وأخواني،،،،

الشكر والعرفان

فالشكر الأول والأخير للمتفضل بنعمه وخيره جل وعلى وانطلاقا من **قوله تعالى: (كذلك نجزي من شكر).** كما يسعدنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للدكتور **الفاضل أحمد الخضر** الذي تعهدنا بالرعاية والنصح والإرشاد. ومن ثم نتقدم بالشكر والعرفان لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

كما لا يفوتنا أن نسجل أسمى آيات الشكر والعرفان **لأساتذة كلية التربية** قسم اللغة العربية ، والشكر موصول إلى أفراد الأسرة الكريمة ، ولكل من ساهم بطريقة أو بأخرى في إخراج هذا البحث.

المستخلص

تناولت هذه الدراسة شعر الحكمة بين زهير بن أبي سلمى والمتنبي، وقد جاءت في أربعة فصول يحتوي كل فصل منها على ثلاثة مباحث. تطرقنا في الفصل الثاني لحياة الشاعر زهير بن ابي سلمى مع تحليل لنماذج من حكمته وتطرقنا في الفصل الثالث لحياة الشاعر المتنبي وتناول الفصل الرابع موازنة بين حكمة الشاعرين. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات منها:

1. إكمال البحث في شعر الحكمة بين زهير بن ابي سلمى والمتنبي في الجوانب الأخرى في الصورة البيانية والأوزان والقوافي وفي علمي البديع والمعاني.
2. دراسة ملائمة اللفظ للمعنى في حكمة زهير والمتنبي.

ومن الصعوبات في هذا البحث معرفة كيفية الموازنة بين الشاعرين.

Abstract

This study dealt with the poetry of wisdom between Zuhair ibn Abi Salma and Al-Mutanabi. It came in four chapters, each of which contains three chapters. We discussed the second chapter of the life of the poet Zuhair ibn Abi Salma with an analysis of the models of wisdom and touched the third chapter of the life of the poet Mutanabi Chapter IV dealt a balance between the wisdom of the poets. The study concluded with a set of recommendations and proposals including:

1. Complete the research on the poetry of wisdom between Zuhair ibn Abi Salma and Al-Mutanabi in the other aspects of the graphic picture, weights and rhymes and in the science of Badi and meanings.
1. Studying the appropriate pronunciation of meaning in the wisdom of Zuhair and Al-Mutanabi.

One of the difficulties in this research is how to balance the two poets.

المحتويات

الآيـــة .....أ

الإهداء.....ب

الشكر والعرفان ..... ج

المستخلص.....د

Abstract.....ه

الفصل الأول.....1

المقدمة: 1

أهمية البحث: 1

منهج البحث: 1

مشكلة البحث: 1

أهداف البحث:.....2

حدود البحث: 2

الفصل الثاني 3

المبحث الأول : التعريف بالشاعر مولده ونشأته وحياته.....3

زهير بن أبي سُلْمى.....3

طبقته في الشعراء 6

المبحث الثاني :شاعرية زُهير.....8

المبحث الثالث : الحكمة عند زهير بن أبى سلمى 12

الفصل الثالث 17

المبحث الأول : التعريف بالشاعر.....17

المبحث الثاني : شاعرية المتنبي 23

المبحث الثالث: الحكمة في شعر المتنبي 26

الفصل الرابع 35

المبحث الأول : الموت عند زهير بن أبي سلمي والمتنبي 35

(أ) الموت عند زهير 35

(ب) الموت عند المتنبي 36

المبحث الثاني : الحياة عند زهير والمتنبي 38

(أ) الحياة عند زهير 38

(ب) الحياة عند المتنبي 38

المبحث الثالث: الناس والمال عند زهير أبي سلمى وأبو الطيب المتنبي : 40

(أ)الناس والمال عند زهير 40

(ب) الناس والمال عند المتنبي.....40

المبحث الرابع : نظرات في الأخلاق والسياسة.....42

أ.عند زهير 42

ب.عند المتنبي.....43

التوصيات والمقترحات: 44

المصادر والمراجع: 45

الفصل الأول

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن الأدب هو المصور لحياة الأمم تصويرا دقيقا وصادقا ومعبرا، لذلك فإن الإهتمام بدراسة الأدب تعتبر غاية في الأهمية ، فمن أراد أن يتعرف على ماضي هذه الأمم وحاضرها فعليه بالأدب فإنه فيه كل ما يمكن أن يفصل مآثر وقيم وأخلاق وقضايا إجتماعية مهمة مرتبطة بالأمم المختلفة.

للشعر مكانة كبيرة بين آداب الأمم قيما وحديثا لأنه أكبر معبر عن الشعور وأحسن مصور لنزعات النفوس وأقوى حافز لعزئم الأفراد والجماعات ، ولذلك يعد بحق من المصادر التي يعول عليها الباحثون في تواريخ الأمم ونهضتها.

ويعتبر العرب إحدى الأمم الشاعرة التي طبقت شهرتها الآفاق وتركت من التراث الأدبي والشعري والبلاغي ما تزهى به على الأمم وتفخر به الأجيال ، فجاء الشعر العربي حافلا بالعديد من الأغراض الشعرية الرائعة والشعراء الذين تميزوا بأشعارهم الجميلة ، فجاء شعرهم أريجا يفوح على كل من يتذوق الأدب العربي ويعرف معناها فقد كثر هؤلاء الشعراء على مدى العصور الأدبية بدءا بالعصر الجاهلي ثم عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية ، والعصر العباسي وأخيرا العصر الحديث.

وفي هذا البحث تطرقنا لدراسة جانب فائق الأهمية في الشعر عامة ويحتل مكانة عامة ألا وهو جانب الحكمة فتناولناها عند الشاعرين زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الحكيم والشاعر أبو الطيب المتنبي.

أهمية البحث:

شعر الحكمة من الأغراض التي تناولها الشعراء في ثنايا دواوينهم ومن هنا تنبع أهمية البحث لا سيما أن البحث سيقوم بالموازنة بين شاعرين في هذا الغرض.

منهج البحث:

1. إعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي لكي نتعرف على الشاعرين من خلال حياتهما وعصرهما والحكمة في شعريهما.
2. المنهج الوصفي التحليلي.

مشكلة البحث:

تبلورت مشكلة البحث في السؤال التالي:

ماهي أهم الجوانب التي تتم بها الموازنة بين الشاعرين زهير بن أبي سلمى والي الطيب المتنبي في غرض الحكمة؟

أهداف البحث:

1. التعريف بكل من الشاعرين زهير والمتنبي.
2. دراسة نماذج من حكمة زهير بن أبي سلمى والمتنبي.
3. موازنة في شعر الحكمة عند الشاعرين.

حدود البحث:

دراسة غرض الحكمة عند الشاعرين ثم الموازنة بينهما في هذا الغرض.

الفصل الثاني

المبحث الأول : التعريف بالشاعر مولده ونشأته وحياته

زهير بن أبي سلْمى

هو زهير بن أبي سلمى بزربيعة بن رياح الـّمزنَي ، فبأوه من قبيلة مُزَيْنة، وكانت تجاور في الجاهلية بني عبدالله بن غطفان حيث كانوا ينزلون في الحاجر بنجد شرقي المدينة وينزل معهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان أخوال أبيه ربيعة . ويحدثنا الرواة أنه أقام فيهم زمن مع أمه وحدث أن أغار مع قوم منهم على طي وأصابوا نعماً كثيراً وأموالاً ، ولما رجعوا لم يفردوا له سهماً في غنائمهم ، فغاضبهم وانطلق بأمه إلى قبيلة مزينة ، ثم لم يلبس أن أقبل في جماعة منهم مغيراً على عشيرة أخواله ، ولم يكادوا يتوسطون ديارها حتى تطايروا راجعين وتركوه وحده ،فأقبل حتى دخل في أخواله ،ولم يزل فيهم حتى توفىّ ومن ثم ولد له زهير و أولاده في منازل بني مرة عبد الله بن غطفان[1] وكان ذلك سبباً في أن يضطرب الرواة وأن يظن بعضهم أن زهير غطفاني القبيلة ، وهو في الحقيقة مزني النسب غطفاني النشأة والمربى، وقد صرّح ابنه كعب بهذا النسب إذيقول في بعض شعره رداً على بن مزيدبن ضرار وقد عَزاه إلى مزَينة[2]:

همُالأَصل منى حيث كنتُ وأنني * من المُزنَيين لمُعضيْنَ بالكرمْ

ويظهر أن ربيعة لم يعش طويلا في عشيرة أخواله ، ويقول الرواة إن امرأته تزوجت من بعده اوس بن حجر الشاعر التميمي المشهور ، وهنا يلمع في حياة زهير اسم خاله بشامة بن الغدير ، فقد كفله هو وأخوته ، ونعرف منهم سلمى كما نعرف أخرى تسمى الخنساء.

و قد عاش زهير خلال هذه الحروب التي نشبت بين عَبْس وذبْيان ، حروب داحس والغبراء التي سبق أن تحدثنا عنها في غير هذا المواضع ، وقد أسهمت عشيرة أخواله ، في تلك الحروب وصليت نارها . وأيضا فأنها صليت نيران حروب أخرى كانت تنشب بينها وبين بعض العشائر الذبيانية ، وفى شعر خاله بشامة مايصور تلك الحروب الأخيرة ، فقد روى له صاحب المفضليات قصيدتين يحرض فيهما عشيرته أن لا يخذلوا حلفاءهم ((الحُرَقة)) وأن يقضوا معهم ضد بعض العشائر من بني سعد بن ذبيان . ومعنى ذلك أن الأيام التي عاشها زهير في عشيرة أخواله لذبيانيين لم تكن أيام استقرار وأمن ، إنما كانت أيام حوب وسفك للدماء ، فدائماً تُشَبُّ الحروب

---

[1] ترجمة زهير في الشعر والشعراء .

[2] طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص 88 ومابعده.

الغارات ، ودائماً تجيش القلوب بالإضغان ، فُتسلُّ السيوف وتُقطع الرقاب .ويعودون من حروبهم دائماً إلى رعى الإبل والأغنام ، وإلى صيد بعض الحيوان ، نشأن القبائل النجدية في العصر الجاهلي.

كانت قبائل ذبيان وغيرها من قبائل غطفان تتعَّبد في الجاهلية العّزة ، ويقال إنها كانت شجرة أقامت حولها كعبة كانت تحج إليها ، وتُهدى القرابين ، وقد هدمها خالد بن الوليد بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وربما قال الرواة إنها شجرات ثلاث ، وقد يقولون إنه كان في الكعبة وثن. وأكبر الظن أن هذا هو الصحيح فقد كان فيها وثن العُزَّة ، وقد يقولون إنه كان يقدسونها[1].ومهما يكن فقد كانوا وثنيين ، وظلوا على وثنيتهم إلى ظهور الدين الحنيف .

ليس بين أيدينا شي واضح عن نشأة زهير سوى أنه عاش في منازل بني عبد الله ابن غطفان وأخواله من بني مرة الذبيانيين ، وفى كنف أخبلهشامة الغدير ، وكان شاعراً مجيداً كما كان سيداً

شريفاً ثرياً ، يقول ابن سلام :وأ كان كثير المال ، وكان ممن فقأ عِيْنَي بعير في الجاهلية ، وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقأ عيني فَحْلها[2]. وكان بَشامة من أحزم الناس رياًّ فكان قومه يستشيرونه ويصدرون عن رأيه ، ولم يكن له ولد ، فلما حضرت الوفاة جعل يقسم ماله في أهل بيته وأعطى زهياً نصيباً منه، ويروى أنه قال له إني أعطيتك ما هو أفضل من المال فقال زهير : ما هو ؟ فقال له: شعري[3]، وهو لم يرث عنه شعره وماله فقط، بل ورث عنه أيضاً خلقه الكريم . وفى أخباره أنه تزوج من امرأتين ك : أم أوفى وهى التي يذكرها في شعره ، ويظهر أن المعيشة لم تستقم بينهمافطلقها بعد أن ولدت منه أولاداً ماتُ جميعاً .والثانية التي تزوجها من بعدها هي كبشة بنت عمار الغطفانية ، وهى أم أولاده : كعب وبجير وسالم .مات سالم في حياته ورثاه ببعض شعره [4].

وهو يتحدث في شعره طولا عن حروب داحس والغبراء مشيداً بهرم بن سنان والحارث بن عوف سيديبني مرة اللذين حقنا دماء عبس و ذ بيان بعد أن طال عليهما الأمد في تلك الحروب ، إذ تحملا ديات القتلى ، ويقال أنها كانت ثلاثة آلاف بعير أدّياها في ثلاث سنين [5]. واعتدّزهير بهذه المنة الجليلة فأشاد بها في معلقته ، وظل طوال حياته يمدح هرم بن سنان ويمجده. وهرم

1 تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على 97/5 ومابعدها.
2 ابن س9لام ص563.
3 أغاني (طبعة دار الكتب)1./313.
[4]أغاني 1./313.
[5]أغاني 1./ 297.

يغدق عليه[1].وبذلك أعطي كل منهما صاحبه خير ما يملك، وقد ذهب ما أعطاه هرم لزهير مع الزمن ، أما ما أعطاه زهير هرماً فخلد على الأيام .

ومن طرائف ما يُرْوىَ في هذا العدد أن هرماً ((حلف لا يمدحه زهير إلا أعطاه ولا يسأله ولا يسلم عليه إلا أعطاه :عبداً أو وليدة أو فرساً فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملأ قال : عم صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت)).

ونراه يشيد بحصن بن حذيفة سيد بني فزاره الغطفانيين، وخاصة بحروبه مع أحلافه بنيأسد ضد النُعمان بن الحارث العساني وما أنزلوا بجيوشه من هزائم منكرة .وليس في ديوانه وراء حروب حصن وحروب داحس والغبراء إشارة إلى غارات سوى مكان من غارة بن ورَقْاء ألا سدي في جماعة من قومه على عشيرته ،وقد أخذ فيما أخذ إبلاً وغلاماً لزهير يسمى يساراً . وغضب زهير غضباً شديداً ، وهدده إن لم يردّ عليه إبله أن يهجوه هجاء مقذعاً ، مذكراً له بما بين عشيرتيهما من مواثيق وعهود نقضها نقضاً ، وخشيالحارث معرة لسانه ومايصبَ ُ عليه منلعنات فرد عليه ماله وغلامه .

كان فيه توقر ونبل , ولعل ذلك ماجعل شعره يخلو من الفحش والعهر,فهو من ذوق آخر غير ذوق امرئ لقيس لفتون بالنساء وتصويرمغامراته القصصية معهن .

حياة زهير الأدبية طريفة , فقد كان بأوه شاعراً , وكذلك خاله كما قدمنا ,وأختاه سلمى والخنساءوورث عنه ابناه كعب وبجُيَرْ ,واستمر الشعر في بيته أجيالاً , فقد كان عقبة بن كعب شاعراً وكان العوام ابن عقبة شاعراً يضاً [2] ويقولون إنه رحل عن البادية وأقام في البصرة فنحن بأزاء شاعر اتصل الشعر في بيته اتصالا لم يعرف لشاعر جاهلي ممن عاصروه .فهو تلميذه وخريجه.

وفى أخباره مع ابنه كعب ما يدل على الطريقة التيكان يخُرج بها الشعراء،فقد كان يلقنهم شعره ويروونه عنه ، وما يزالون يتلقونه ،حتى تنطبع في أنفسهم طريقة نظم الشعر وصوغه ، وهو في أثناء ذلك يمتحن قدرتهم ، بما يلقى عليهم من أبيات يطلب إليهم أن يجيزوها ، بنظم بيت على غرار البيت الذي ينشده في الوزن والقافية .

[1] أغاني 1./3.5.

[2] مقدمةديوانزهير (طبعةدارالكتب) ص9.

ويظهر انه عُمَر طويلا إذ يقال في بعض الروايات إنه أدرك الإسلام وله مائة سنة ولم يسلم ، ولكن إدراكه الإسلام غير صحيح حقًا ابناه بجير وكعب ، وقد أسلما وحسن أسلامهما ، ولكعب قصيدة ومعروفة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى ذائعة ومشهورة .

كان (زهيرقد) رأى في منامه في آخر عمره أن آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسَ ُ ها ، ثم تركه فهوى إلى الأرض،فلماحَنُضرقصَ رويه على ولده(كعب). ثم قال: ((إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي ،فإن كان فتمسكوا بهِ وسارعوا إليه)).

ثم تُوُفِّى قبل مبَعث النبي عليه الصلاة والسلام بسنة . وكانت وفاته سنة (631) لميلاد المسيح عليه السلام .

أمتاز (زهير) بما نظمه من منثور الحكمة البالغة ، وكثرة الأمثال وسنيٌ المدح .وتجنب وحشي الكلام وقد كان أحسن الشعراء شعراً، وأبعد هم سُخف الكلام . وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللفظ .

وكان زهير لزهير أخلاق عالية ،ونفس كبيرة ،مع سعة صدر وحلم وورع. فرفع القوم منزلته وجعلوه سيداً .وكثر ماله ولسعت ثروته،وكان مع ذلك عريقاً في الشعر.وكان لشعره تأثير كبير فى نفوس العرب.وهوواسطة عِقد الفحول من شعراء الطبقة الأولى.معلقة (زهير) أشعر شعره.[1]

وقد جمعت ما أشبه كلام الأنبياء ، وحكمة الحكماء. ففيها الحكمة البالغة،و المواعظ الحسنة، والأخلاق الفاضلة ، والمعاني العالية والأغراض النبيلة أضِف إلى ذلك ما حَوَته من الأساليب البليغة والكلام الجَزْل.

وقد أنشأها يمدح بها (الحارث بن عوف) و (هرم بن سنانالمرَ ُ بيَن ، ويذكر سعيهما بالصلح بين (عبس وذَبيان)وتحمُلهما ديته من مالهما.

طبقته في الشعراء

زهير أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين بالاتفاق وإنما اختلفوا في تعيين أيهم أشعر على الأخر وهم امرؤ لقيس .و زهير والنابغة الذبياني لذا قال عبد القادر البغدادي . وتقدم في ترجمة امرئ لقيس أن الأعشى داخل في ذلك الخلاف وأهل الكوفة يقدمونه . وفي الجمهرة لابنخطاب باب ذكر طبقة من سمينا منهم قال أبو عبيدة : أشعر الناس أهل الوبر خاصة امرؤ لقيس وزهير والنابغة

[1] المرجعمقدمةديوانزهير (مرجعسبقذكره).

.ولم يذكر صاحب الأغاني الأعشى مع هؤلاء.وقال عمر بن الخطاب لابن عباس رضي الله عنهم .هل تروي لشاعر الشعراء قال : ومن هو قال له : الذي قال

ولَو أنّ حمداً تلدّدالناسُ خلّدُوا *** ولكن حمدَالناسِ ليسَ بمخلّدِ

قال ابن عباس : ذاك زهير قال: فذاك شاعر الشعراء قال :لأنه كان لا يُعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح الرجل إلا بما فيه وفي رواية أنه قال أنشدني له . قال ابن عباس : فأنشدته حتى برق الفجر فقال :حسبك اقرأ قال قلت فما أقرأ: قال: اقرأ الواقعة قال :فقراتها فنزل فأذن وصلى[1].

[1]شرحالمعلقاتالعشروأخبارشعرائهاتأليف : أحمدبنالأمينالشنقيطيطبعةمزودةمنقحة 143.– 2..9.

المبحث الثاني :شاعرية زُهير

يعتبر زهير من شعراء الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وفضله كثير ممن لهم معرفة بنقد الشعر على امرؤ لقيس والنابغة وأضربهما.

وقد عده ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى وهم امرؤ لقيس والنابغة وزهير والأعشى وقد كان علماء البصرة يقدمون امرأ لقيس ، ولأعشى و زهير والنابغة .وورد في كتاب شرح المعلقات العشر وأخبارها وشعرائها.

" و زهير أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين على الشعراء بالاتفاق وإنما اختلفوا في تعيين أيهم أشعر على الأخر وهم امرؤ لقيس وزهير والنابغة الذبياني كذلك قال عبد القادر البغدادي.

وتقدم في ترجمة امرئ لقيس أن الأعشى داخل في ذلك وأهل الكوفة يقدمونه وفى الجمهرة لابن خطاب باب ذكر طبقة من سمينا منهم قال أبو عبيدة : أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ لقيس وزهير والنابغة ولم يذكر صاحب الأغاني الأعشى مع هالا "[1].

وحياة زهير من الوجهة الأدبية طريفة ،فقد كان أبوه فيما يقولون شاعراً،وكان خاله بشامة بن الغدير الغطفاني شاعراً، وله أخت شاعرة وكان ابناه كعب وبجير شاعرين ،وكان حفيده الصوم شاعراً ، كما كان زهير راوية وأوس بن حجر،و الحطيئة ،أخذ عن زهير، وأخذ جميل عن الحطيئة ، وأخذ كثير عن جميل ،فسلسلة الشعر متصلة بزهير من قبل النسب ، كما هي متصلة من قبل التعليم والرواية، فنحن من هذه الناحية بإزاء شاعر اتصل الشعر ببيته اتصالاً لم يعرف لشاعرجاهلي ممن عاصروه.

فنحن من هذه ،الناحية بإزاء شاعر اتصل الشعر في بيئته اتصالاً لم يعرف لشاعر جاهلي ممن عاصروه .

وقد انتهى إلينا طائفة صالحة من شعره ،وفيها معلقته المشهورة التي قالها بعد حرب داحس والغبراء وليس لدينا شعر قاله أثناء هذه الحرب محرضاً بين ذبيان أو راثياً الفرسان الذين قتلوا فيها شأن شعراء القبائل في مثل هذه الحال ، وقد مر به أعظم حادث روعت له القبيلة ،فكانت مجزرة أهلية فجعت بين ذبيان بخيرة رجالها ، فلماذا سكت زهير عن رثائهم وتحريض القبيلة على الأخذ بثأرهم ؟ لعل هذا الشعر ضاع فلم يصل إلينا ؟ أم لعله لم ينظم شيئاً فيهم ألا انه كان كارهاً هذه الحرب التي اشتعلت نارها لسبب تافه وهو الشاعر الحكيم الذي يسعى لخير القبيلة ،

[1] "شرحالمعلقاتالعشروأخبارهاوشعرائها" الطبعة 1435-2..9مللدكتورأحمدبنالأمينالشنقيطيالناشردارالكاتبالعربيبيروتص53-54.

ولا يرى لها أن تتورط في حرب مشؤومة تفانت فيهو بنو غطفان ودقوا فيها عطر منشم على حد تعبيره .[1]

فلم يشأ أن يورث جمرة الأحفاد بندبة و تحضيضه ،بل كان يرجو أن يقوم من عقلائهم .من يسعى إلى الصلح حتى تجند له هرم بن سنان والحارث بن عوف المريان ، فمدحهما وشكر صنعهما وأشاد بذكرهما .وقد قال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم : أنشدني بعض مدح زهير أباك .فأنشده فقال عمر: إن كان ليحسن القول فيكم .قال :ونحن والله كنا نحسن له العطاء .فقال عمر : قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطكم .

ولا يذكر زهير في شعراء الجاهلية التي ذكرت مع الرواية والرزانة والحكمة ، وبدالنا منه شاعر عاقل لا تنطوي حياته وطباعه على شذوذ غير مألوف في نظام ألاجتماع وجاءت أقوال المتقدمين فيه وصفاً لما يبدو من أخلاقه في شعره ، لهذا الشعر بهذا الأخلاق .[2]

وما أدرى وسوف أخال أدرى ***أقومٌ آلَ حصنٍ أمْ نِسَاءِ

وعد قوله هذا من أقوى ما هجا به .

ومهما يكن من أمر فإن زهير في حكمه وأمثاله وجدله ومواعظه شاعر حكيم وخطيب اجتماعي ، وقاضً يرشد ويصلح .

ومنظوماته في كثرتها ليست من الشعر الخالص وأن كان لا يعددها جمال العبارة وحسن التصوير وربما وجدت فيها برودة وجفافاً يتمثلبها صاحبها الوقود الهادئ الرصين، حتى أن غزله في هدوئه وصلابته لا يثير عاطفة ولا يحوك قلباً ، يصرف عنايته إلى ذكر الديار الخالية ووصف فراق الأحبة ومرافقة الظعائن في انتقالها من مكان إلى آخر وقلما وصف الحبيبة واظهر محاسنها فغزله في جملته يدل على أن صاحبه قد تقدمت به السن فقاله ف حرب داحس والغبراء وما بعدها ، فهو ذكريات شيخ يحن إلى امرأته أم أوفى التي طلقها ، أو يأسف لأن العذارى أصبحت تناديه : يا عمى !بدلاً من أن تناديه يا أخي

وقال العذارى :إنما أنتَ عَمُنَا **وَكَانَ الشبابُ كالخليطِ تذابِلُهْ

ويمكن القول أن أكثر أغراض الشاعر تمتاز بالرصانة والهدوء والتعاقل وتنزع إلى الجدل وتوخي الحقائق المادية المجسمة .

ولعل أظهر مايتصف به زهير عند الرواة إنه كان كالحطيئة من عبيد الشعر ويعنون بهذا انه كان بطيئاً فى قول الشعر يُرَوى وينقح ،ويعاود قوله بالصقال والتهذيب ، يطيل التفتيش ، ويعيد

[1] دواوينالعرب- ديوانزهيربنأبسلمللدكتورمحمدمحموددارالفكراللبنانيبيروت –الطبعة 1995- ص9-11.
[2] دواوينالعرب –ديوانزهيربنأبسُلمتأليف : لدكتورمحمدمحموددارالفكراللبنانيبيروت – الطبعةالأولى 1995مص 9-1.

فيه النظر بعد النظر حتى يظهره للناس ولذلك أضيف إليه قصيدة الحوليات يظهره رويته وأناته في تنقيح الشعر فقالوا أنه كان القصيدة في أربعة أشهر ويهذبها في أربعة ويعرضها على أخصائه في أربعة .

وورد في قول آخر :

" قال صاحب الخزانة : " روى أن زهير كان ينظم القصيدة فى شهر ،وينقضها ويهذبها في سنة وكانت تسمى قصائده " حوليات زهير وقد عرف القدماء لزهير إبداعه وحذقه وقدروا شاعريته (1) "

وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين .

وكان الحطيئة يقول : خير الشعر المنقح المحك ، وكان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات .[1]

وورد فى كتاب آخر

" يقول الأصمعي عن زهير والحطيئة و أضربهما إنهم عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين : ولذا كان زهير يسمى قصائده الحوليات "[2].

وقالوا فيه هو أشهرهم لأنه لايعاظل إلاعاقل الكلام .

وسمر بلال بن أبى بردة ابن موسى الأشعري وهو والي البصرة فقال ليله فقال لأهل سمرة اخبروني بالسابق الذي سبق بالمدح فقال

وما بك من خير أتوه فإنما *** توارثه آباء آبائهم قبل وأما المصلى يعنى النابغة فهو الذي يقول :

ولستُ بمستبقٍ أخاً لاتلُمْهُ *** على شعثٍ أيُّ الرجالِ المذهبِ

وسأل عكرمة بن جرير أباه عن أشعر الناس قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام قال: قلت ما أردت إلا الإسلام فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها قال :زهير أشعر أهلها قلت: فالإسلام قال :الفرزدق نبعة الشعر قلت: فالأخطل يجيد مدح الملوك ويصيب وصف الخمر قلت فما تركت لنفسك قال نحرت الشعر نحراً .

[1] المرجع : ديوانالعرب –ديوانزهير بنأبيسُلمىللدكتور : محمدحموددارالفكراللبنانيبيروت (الطبعةالأولى 1995- ص9-11).
[2] المرجع : شرحالمعلقاتالعشرأخبارهاوشعرائهاتأليف : لدكتورأحمدالأمينالناشردارالكتابالعربيبيروت – الطبعة 143.-2..9مص53-54.

وسأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء فقال: زهير قال: وكيف ذلك؟ قال: كف عن المادحين فضول الكلام قال :بماذا ؟ فال بقوله : ومابك من خير أتوه . (البيت المتقدم) وذكر ابن سلام أن أهل النظر قالوا :" كان زهيرأحصنهم شعراً وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعنى فيقليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالاً فى شعره وقد انتقد ابن رشيق فى " العمدة " قوله ((وأشدهم في المدح) لأن فيه مناقضة لقول عمر السابق وابن سلام لايقصد المبالغة الممقوتة بل الاجتهاد في توقيه الممدوح حقه .

وقد عده جرير أشعر الناس في الجاهلية وتحكي لنا كب الأدب كثيراً من الروايات التي تبين تقدم زهير وأفضليته في الشعر وقد طرق زهير سائر الأغراض الشعرية من مديح وغزل ورثاء وفخر وحكمة وإنما كان عفيفاً في هجائه يميل إلى السخرية والتهكم لا إلى الإقراع على نحو مانجد في قوله في هجاء قومه .

المبحث الثالث : الحكمة عند زهير بن أبى سلمى

يصوغ زهير حكمه إما من فلسفة يقوده إليها تأهله في الكون والحياة وإما من ثقافة يثقفها ممن سبقوه ،وعايشوه ،وإما من تجارب يمر بها وأحزان تؤثر فيه تأليها تأهله في الكون والحياة وإما من ثقافة بتثقفها ضمن سبقوه ،وعايشوه ،وإما من تجارب يمر بهاوأحزان تؤثر فيه تأثيراً ينطقه بما يميزه من أبناء عصره ،لأنه يملك من البيان ما لايملكون .[1]

أما الفلسفة ؛ فالعصر الجاهلي كله ،لا شعر زهير وحده ،كاد يخلو منها ،والنظرات التي نلقاها لدي زهير وأمثاله لا ترقي إلي أقف الفلسفة .وأما الثقافة " فلم تكن لزهير ثقافة فكرية يمتاز بها عن القوم الذين كان يعيش بين ظهرانيهم " .

وأما التجارب والظروف ، والطباع فإنها أغزر المنابع التي نبعت منها حكمه زهير. فقد يكون لاغتراب الشاعر ونشأته في غير أهله أثر في ميله

إلي الوقار والمرارة والمصانعة ومجانية التهور.فإذا هو يدعوإلي الأساة وتحكيم العقل ، ويحرض الناس علي الإحسان ، والتزام الفضيلة ، وحماية اللسان من البذاءة والفحش :

ومن لايصانع في أمورٍ كثيرةٍ *** يُضَرسْ بِأنيابٍ ويُوطأ بِمَنْسمِ

ومن يجعل المعروف من دون عِرْضِهِ يَفِرهُ ومن لايتقِ الشَتْمَ يُشْتَم

وقد يكون الحلم فطرة فطرعليها ،وطبعاً أصيلا فيه لم يكتسبه من أوتجربة ،فقد حدثنا تاريخ العصر الجاهلي عن عدد غير يسير من شعراء فارقوا قبائلهم فنزعوا إلي الصعلكة لا إلي الحكمة .

ولو لم يكن في زهير نزوغ إلي الخير لما مضى يتغنى بالحلم ،ويقدر العقل حق قدره ، ويُسَفَة جهالة

السفهاء فيقول:

إذا أنت لم تُقعُر علي الجهل والقنا أصبحت حليماً أو أصابك جاهل

ويهديه عقله ألي إن التسامح خير من الملاحاة والخصومة ،لأن العتاب قد يؤدي إلى تنافر القلوب أما الإغضاء عن الذنب فقد يدفع الكريم إلى الندم والتوبة .

[1] الدكتور غازيطليماتوالأستاذعرفاتالأشقرالمرجع: الأدبالجاهلي (قضاياه – أغراضه – أعلامه - فنونه) ط2 مصححه – دمشقدارالفكرالطبعة :2..7مص365.

وتمييز الكرام من اللئام لايحتاج إلى ترجمان أو برهان ،وحسب الذكي أن ينظر في وجوه الناس ليحكم على صديق بالصدق وسلامة الطوية .وعلى آخذ بالملق والرياء يقول :

ولا تكثر على ذيِ الضغن عتباً *** ولا ذكر التحرمِ للذنوبِ

ولا تسأله عما سوف يبدي ***ولا عن غيبه لكمبالمغيبِ

متى تك في صديق أو عدو ***تخبرك الوجوه عن القلوبِ

لقد اكتسب التجارب زهير بعض النظر ،وألهمته الأحجام عن مضيعة الأعراض ،ليصون عرضه من ألسنة السوء ،وجعلتهشديد الحذر،لايخطو إلا على هدىً وبصيرة ، فعاش في نجوة من العثار والمزالق:

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع***يعرض أبيه في المعاشر ينفق

ومن لا يقدم رجله مطمئنة *** فيثبتها في مستوى الأرض تزلق

والحليم السمح لا يخشي الوقوع في الأذى ، ولايتقي الشر بالكذب ،لأن الكذب درع الجبان ، وسلاح الخائف في مجابهة الحقائق :

وفي الحلم إدهانُ وفي العفو دربة***وفي الصدق منجاة من الشر فاصدُقِ

ولم تكن حكم زهير سبحات تحمله إلى أفق مثالي لايدرك وإنما كانت مستمدة من الواقع داعية إلى التكافل ، وبذل المعروف للقريب قبل الغريب :[1]

ومن يكُذا فضلفَيَبخَل بفضلهِ ***على قومه غِنىً وَيُذْ مَمِ

وربما التقي زهيرفي هذا الرأي الداعين إلى ارتباط الفرد بالقبيلة ، لكنهم دعوا إلى نصرة القبيلة وهم يتميزون غيظاً وغضباً على أعدائها،ودعا إليها زهير بدافع الحب الذي يمحو العصبية والحمية ،ويؤثر السلام ،على أن موقفه هذا لا يعني الضعف والجبن ،ففي حكمه تجميد للقوة ، ودعوة إلى الحفاظ على الشرف ورفض للخنوع ، شأنه في ذلك شأن كل عربي يحمي الذمار،ويستعذب الموت الذي لا مفر:

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه ***يهدم ،ومن لايظلم الناس يظلم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه *** ولو نال أسباب السماء بسلم

[1] الدكتور: غازيطليماتوالأستاذعرفاتالأشقر.

ولا تخلو نظرة زهير إلى الموت من عفوية وسطحية،فالموت-عنده-نهاية الحياة المحتومة ، والبقاء مستحيل فإن أمتنع خلود الجسد فخلود الذكر ممكن:[1]

فلا تكتمن الله مافي قلوبكم ***ليخفى،ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ***ليوم الحساب، أو يعجل فينتقم

وفي هذه الفكرة ماينفي عن زهير السطحية ويظهره-إذا قيس بشعراءعصره ثاقب الرأي ،ناضج الفكر ،صادق الحس .ومنحكمه الدالة على نضجه بيتاه اللذان ضمنهما أصول بين الخصمين في المحاكمات – وهذه الأصول الثلاثة:حلف اليمين ، أو بسط القضية أمام حكم عدل أو انكشاف الحقيقة التي تعمق الخلاف ، فهذه الأمور الثلاثة مفاصل الحق وشفاء النفوس من الريبة :

فأن الحق مقطعه ثلاث ***يمين أو نظار أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حق ***ثلاث كلهن لكم شفاء

ولا يضير زهير أن يشكك طه حسين في صحة بيتيه السابقين ، فهما عندنا من صحيح الشعر لارتباطهما بهجاء بني عليم ،ولأن رجاحة العقل قد تقود الشاعر الملهم المتمرس بتجارب كثيرة إلى اكتشاف أفكارعميقة، وأصل من أصول القضاء .وأيُّ دستور أو قانون يخلو من أصول وتشريعات لخصت تجارب البشر[2]؟

وليس لدينا في شعر زهير قصيدة تجمع الحكم أبياتاً يتوالى بعضها إثر بعض غير معلقته .فقد خصص القسم الأخير منها بطائفة من الآراء الاجتماعية التي شهرته عند الأقدمين وفضلوه من أجلها، فقالوا: أشعر الناس صاحب من ومن .وله أقوال متفرقة في مختلف أشعاره ، منها أدلة عقلية مثل قوله :

وهل يثبت الخطي إلا وشيجة *** وتغرس إلا في منابتها النخل ؟؛

ومنها أمثال حضه على العمل الصالح :

تزود إلى يوم الممات فانه *** وإن كرهته النفس آخر موعد

وزهير في معلقته يبدو رجلاً جرب الدهر أشطره ، وخير الناس وعرف نفوسهم ، فعمد إلى صياغة ذلك كله في شعره فيبد زهير في معلقته شيخاً شبع من الأيام ، وحكيماً تفهم قيمة الحياة

[1] المرجع :(الأدبالجاهلي –قضاياه-أغراضه-أعلامه-فنونه).
[2] الدكتور غازي طليمات والأستاذ عرفات الأشقر..

ومعناها ، لا تطغي عله عاطفة جموح ، ولا يثور به خيال صبياني ، فهو هادئ السرب ، يقوده عقل نيِّر وبصيرة واعية ، فيتخذ العادات النبيلة نبراساً في ظل الحياة هادئة سعادتها في هدوئها وسلامها ، ينصب نفسه حكيماً ومرشداً في قومه ، يشجع المصلحين ويدعو إلى التفاهم[1]

وأول شي يراه زهير من ضرورات الحياة الاجتماعية المصانعة . والمصانعة هي " الدبلوماسية " الاجتماعية أن صح التعبير – بمعنى مجاراة الناس من غير رياء حقيقي وفي غير خروج عن الشخصية و الرأي الشخصي . ويرى زهير أن المصانعة لابد منها في أمور كثيرة لأن الذي يصانع لا يحطم .

وبعد المصانعة يقدم زهير رأيه في المعروف وبذله . ويرى أن المعروف حصن للشرف وأن بذل الفضل مجلبة للمحامد ولا سيما إذا كان البذل في محله ، بل أن الذل في غير محله مجلبة للقدح والذم .

ولم يكن زهير رسول الضعف والهزيمة وتثبيط العزائم في دعوته إلى السلم وتحذيره من الحروب وإنما أدبه أدب القوة تغيره من الشعراء الجاهلين ، ولايُبشر بالاستكانة والخنوع ، بل يدفع الحرب مادام بوسعه أن يدفعها لخير القبيلة أفراداً وجماعات دون أن يقودهم إلى الذل والصغار .

فأما إذا كان لابد من الحرب فليس للمرء أن ينكص عنها :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه *** يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ولا تعجب أن تصدر عنه حكمة في تزيين الظلم فإنما هي حياتهم القبيلة تفرض عليهم ظلم البعد والحلم على الأقرباء ، فكلهم يفاخر بالجور على الغريب والرفق بابن العم .فزهير لم يزين الظلم إلا لأنه مصروف إلى الغرباء لا إلى القبيلة ، فأوهى به في جملة آراؤه ، وجعله من سياسته الإجتماعية متأثر بروح عصره فليست آراؤه كلها إنسانية تجاري العصور و تتخطى حواجز المكان والزمان بل فيها ما لا يعيش إلا في الصحراء في المجتمع القبلي والعصر الجاهلي.[2]

[1] المرجع : الشعر الجاهلي - قضاياه – أعراضه – أعلامه فنونه).

[2] الدكتور : محمدحمود: " دواوينالعرب – ديوانزهيربنأبسلمى ".

" امتاز زهير بما نظمه من منثور الحكمة البالغة ، وكثرة الأمثال وسني المدح وتجنب وحشي الكلام .وقد كان أحسن الشعراء شعراً وأبعدهم عن سخف الكلام ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللفظ.[1]

وزهير ينثر الحكم في قصائده نثراً خلال الموضوعات المختلفة التي يلم بها ، فمن ذلك قوله :

وكنت إذا ما جئت يوماً لحاجة *** مضت وأجمعت ،حاجة الغد ما تخلو

وقوله :

كذلك خِيمُهُم ،ولكل قوم ***إذا مستهم الضَرَاءُ خيم

وقوله :

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ** ولكن حمد الناس ليس بمخلد

وخلاصة القول أنحكم زهير وآراءه لا تجاوز نطاق التفكير العام ولكنها تجعل من صاحبها شاعراً حكيماً وخطيباًومرشداً ، فهو من أولئك الشعراء الجاهليين الذين لهم رسالة اجتماعية يؤدونها لخير قبائلهم وإصلاح أمرها . فقد قام بها أفضل قيام في مدح سادات القبيلة وفرسانها وإطراء مناقبهم . والدفاع عنها وإرشادها إلى ما فيه نجاحها فكان الشاعر القبلي والشاعر الحكيم ، وقاضي الشعراء .

[1] الإمامعبدللهالحسنبنأحمدالزوزانيالناشر : المكتبةالعصرية – صيدابيروتالطبعة : 1422ه -2..1مص:1.4.

الفصل الثالث

أبو الطيب المتنبي

المبحث الأول : التعريف بالشاعر

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، وقيل بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي ولد بالكوفة سنة ثلاثة وثلاثمائة ، في محلة تسمى كندة ، فنُسِب إليها . وليس هو من قبيلة كندة ، بل جعفي القبيلة .وجُعْفي هو ابن سعد العشيرة من مزحِج - واسمه مالك – بن أددبن زيدين يستجيب من كهلان من قحطان وكان والد المتنبي يعرف بعبد أن أو عُبيد أن ، السقاء ، يسقي الماء لأهل المحلة . أما جدته لأمه فهي همدانية صحيحة النسب ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات . وكان جيرانهم بالكوفة من أشراف العلويين ، وكان لأبي الطيب منهم خلصاء وأصدقاء .[1]

ولم يذكر المتنبي في شعره نسبه أو قبيلته ، ولا أستار إلي والده أو جده وإنما ذكرجدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، في أشعاره منها :

لَا سِيَّمَا وَحَضْرَ مَوْتا ***و والدتي وكِنْدَةَ و البِيعَا

ولم يكن المتنبي يعني بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي ، لا يفخر بقبيلته ، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها ، قال :في إحدى قصائد الصبا :

لا بِقَوْمِيَ شُرِّفَتْ بل شرفوا بي ***وبنفسي فخرتُ لا بجدودي

وقال في رثاء جدته لأمه :

ولو لو تكوني بنت أكرم والدٍ ***لكان أباك الضخم كونك لي أُمًا

وقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المتنبي كانسَقَّاءٍ ، و إلي هذا أشار بعض الشعراء في هجاء المتنبي حيث قال :

أي فضل لشاعر يطلب الفضل ***من الناس بكرة و عشْيًا

عاش حيناً يبيع الماء *** وحيناً يبيع ماالمُدَيا

وروي أن والد المتنبي سافر إلي الشام ، وتنقل به بين حضرها وباديتها ومدرها ووبرها ، ورده في القبائل .

على أن الثابت الذي ينطق بأن والد المتنبي لم يكن رجلاً نابه الشأن كما يرجع الرواة – أن مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

[1] المرجع : ديوانأبوالطيبالمتنبيراجعهوفهرسه : د/ يوسفالشيخمحمدالناشر : دارالكتابالعربي : (بيروتلبنان) الطبعة : 1435 -2..9 م.

أما والدة المتنبي ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجع أنها ماتت في حداثته قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فهي التي تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لها واحترامه الفخم ، قال إبان اعتقاله :

بيديأيها الأمير الأريبُ *** لا لشئ إلاأني غريبُ

ولأم لها إذا ذكرتني ****دمُ قلب في دمع العين يذوب

وتلك هي جدته التي أخبرنا في شعره – كما أخبرنا الرواة –أنها ماتت فرحاً بكتاب جاءها بعد غيبة طويلة موئسة .

وكان المتنبي يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم . وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، وأكثر المقام بالبادية لاقتباس اللغة ، ونظر في فنون الأدب والأخبار وأيام الناس ، وتعاطي قول الشعر في صغره حتى طبع فيه للغاية ، وفاق أهل عصره ، ومدح الملوك ، وسار شعره في الدنيا .

ويُرَجَّح أن مغادرة المتنبي إلي البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة ، حينما أغار القراصنة علي الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمسة عشرة وثلاثمائة ، ورحل بعد ذلك إلى الشام سنة أحدى وعشرين وثلاثمائة .

وكان طريق أبي الطيب إلى الشام طريق الجزيرة ، فمر برأس عين وانتهي إلى مَذْبج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية في الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابي المنبجي . ثم مدح جماعة أخرى في منبج وطرابلس وغيرهما من بلاد الشام الشمالية .

ولبث أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير مستقر على حال ، يقصد الممدوحين ، فيخيبون أمله ،فتتور نفسه ، وتتحكم كبرياؤه ، ثم يعود فيكبت النفس الأبية ، ويمسك كبرياؤه بيده ، وتلجئه الحاجة الملحة إلى معاودة المدح .

وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلاً بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التنوخيون بالاذقية ، وبدر بن عمار الأسدي ونائب ابن راتق في طبرية ، ومساور بن محمد الرومي وإلى حلب ، وقد لزم التنوخيين وابن عمار زمناً . [1]

[1] المرجعديوانأبو الطيبالمتنبيمرجعسبقذكره

وأكثر البلاد نصيباً من مدائحه : منبج ،وأنطاكية واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك طرابلس ، و طرسوس ، وجبل جرست ودمشق ، والرملة .

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد نفسه ، يعرب فيها عن مطامعه ويفخر ويثور . وهي القصائد التي أبانت عن أماله وأوضحت عن أحلام نفسه الكبيرة .

فقد كان المتنبي في عهده هذا ، يبغي المجد والسؤدد ، ويلهج بالملك ، ويبني صروح الآمال الجسام ، قال في صباه :

ومن يبعِ ما أبغي من المجد والعلا ** تساوى المعالي عنده والمقاتلُ

وعندما لامه معاذ اللاذقى على توعده قال :

أبا عبد الإله معاذ إني **** خفي عنك في الهجا مقامي

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحي ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة إلي الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك في شعره في غير موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه العريضة ، لام نفسه وأنَبها تأنيباً .

والذي يقرأ ديوان المتنبي يدرك أن المتنبي كان يستعمل كل هذا الضرب من ذكر الآمال وطلب المجد والسؤدد في أول قصائده التي يمدح بها كما كان الشعراء يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك في قصيدته التي مدح بها علي بن إبراهيم التنوخي مطلعها :

أحُادٌ أم سُداسٌ في أُحادِ ***لليلتنا المنوطة بالتنادِ

وكذلك في قصيدته التي مدح بها المغيث بن بشر العجلي ، والتي مطلعها :

فؤاد ما تسلّيه المُدامُ *****وعمراً مثلُ ما تَهُبُ اللئامُ

وبلغ من ولعشاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس أنه توعّد بقتل الممدوحين أيضاً ، وذلك في قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله الخصيبي .

وأراد الله الأبي الطيب أن يلقى ممدوحه الكبير الأمير علي بن عبدالله سيف الدولة الحمداني ، وأن يمتزج تاريخها على مر العصور ولأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان والياً على أنطاكية من قبل الأمير سيف الدولة ، فلما قدم هذا الأخير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت من مما

تميز به المتنبي على الشعراء جميعاً ، فقد تعود أن يتخذ المتنبي من ممدوحيه أصدقاء وصحاباً وكان سيف الدولة سمح النفس كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقاً صدوقاً ، وأن يكون هو له نعم الصاحب أيضاً ، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بمآ تره ، ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هوالأمير العربي الذي يجدر بدرره الغوالي وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذي يبغى مصاحبته شاعر اللفظ والبيان ، قال المتنبي :

شاعرُ اللفظ خِدْنُهُ شاعرُ المجدِ ***كلانا ربٌ لهُ المعاني الدِّقاقِ

وقال :

لك الحمد في الدر الذي ليَ لفظُه ***فإنك معطيه وإنيَ ناظم [1]

وصحب أبو الطيب المتنبي سيف الدولة ثمان سنوات ، نظم فيها اثني عشر وخمسمائة وألف بيت ، في ثمان وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع عشر ة قصيدة في وصف وقائعه مع الروم ، وأربع في وقائعه مع العرب ، وخمس عشرة في المدح المجرد عن وصف الوقائع ، وخمس في الرثاء ،ومن القطع اثنتان في حوادث الروم ، والباقي في مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا القصيدة :

ذكر الصبا ومرتع الآرام ***جلبت حِمامي قبل يوم حِمامي

وكان سيف الدولة يغدق على شاعره أيما إغداق ، ويكرمه ويبالغ في العطف عليه وإكبار شانه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير ذلك عطايا أخرى ومكافآت .

ثم فارق أبو الطيب سيف الدولة وقدم مصر في جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها في ذي الحجة سنة خمسين وثلاثمائة ، وقد مدح بها حاكمها الفعلي أبو المسك كافور الإخشيدي حين قدم بقصيدته :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا **وحسب المنايا أن يكنٌ أمانيا

وختم مدائحه بقصيدة أنشده سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها وأربعة أشهر وثلاث سنين مدح فيها المتنبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلاثمائة بيت ، وهو ربع ما مدح به سيف الدولة .

[1] ديوانأبو الطيبالمتنبيمرجعسبقذكره.

وكانت بغية أبي الطيب من ذهابه إلى أبو المسك ، أن يقطعه ضيعة أو أمارة ، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب فرحل إلى الكوفة رحيل هارب

وفي ليلة عيد الأضحى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التي مطلعها :

عيدٌ بأيةِ حالً عدتَ يا عيدُ ***بما مضي أم لأمرِ فيك تجديدُ

وقد هجا فيها كافوراً هجاء مراً ، وعرض بإمساكه إياه عن الرحيل .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلأ معز الدولة البديهي عليها ، وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها وشارك هو في الحرب والدفاع عنها .

ثم خرج من الكوفة قاصداً بغداد ، وتردد إليها مراراً ، ولم يطل مقامه بها . وسار إليها شيراز بعد ما طلبهعضد الدولة البويهي ، وكان بصيراً بالأدب له شعر جيد .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه :

أوه بديل من قولني وها ********* لمن نأـ والبديل ذكراها

وهي التي يعزى بها عضد الدولة في وفات عمته – وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية القصائد التي أولها :

معاني الشعب طيباً في المغاني ****** بمنزلة الربيع من الزمان[1]

وفيها يحن الشاعر إلىالعربية التي افتقدها في فارس فما وجد لها أثراً ووصل عضد الدولة الشاعر صلات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتي ألف درهم ولما استأذنه في المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير –قد ظهر أثر ذلك في شعر المتنبي .[2]

وأقام أبو الطيب شيراز زهاء ثلاثة أشهر ثم خرج منها قاصداً بغداد في طريقة إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان ،وفي ذلك اليوم كتب عنه علي بن حمزة البصري – على روايته – القصيدتين الأخيرتين في شعره .ك

وبلغ جبل بعد أن قطع زهاء سبعة عشر فرسخاً ، فنزل عند أبي نصر الجبلي ، أخذ حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فمر لجر جرايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقي من دير العقول ،

[1] ديوانأبو الطيبالمتنبيمر جعسبقذكره.
[2] ديوانأبو الطيبالمتنبيمر جعسبقذكره.

وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً ، وهنالك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسري خال صنبة بن يزيد العيني الذي هجاه أبو الطيب وأقرع في هجائه غاية الاقزع .وكان فاتك في نيف وثلاثين فارساً رامحين وناشبين : ولا ريب أنه كان يتربص لأبي الطيب ، لينتقم لابن أخته صنبة ، و ليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روي أنه ومن معه كانوا ممن يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبي الطيب ابنه محسد وغلمانه ، وقد وصفهم من قبل في قصيدة رثاء فاتك الميمية ، وفي قصيدة توديع ابن العميد ، ولاشك أن غلمانه هؤلأ كانوا أقل عدداً من عدوهم .[1]

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح إنهم " قتلوا كل من معه " وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبا نصر قال : " لما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً " .

ومن الراجح أن اليوم الذي أودي فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جني بقصيدة أولها يقول فيها :

غاضَ القريضُ وأورت نضرةُ الأدبِ *****

*****وصوحت بعد ريٌ دوحة الكتب

ورثاه أبو القاسم المظفر بن على الطبي بأربعة أبيات رواها الثعالبي في يتيمة الدهر وأولها :

لا رعى اللهُ سرب هذا الزمان *** إذا دهانا في مثل ذلك اللسان

ورثاها ثابت بن هارون الرقي النصراني ، وحرص عضد الدولة على عقاب من قتلوه بقصيدة أولها :

الدهر أخبث والليالي أنكد **** من أن تعيش لأهلها يا أحمد

[1] ديوانأبوالطيبالمتنبيمرجعسبقذكره

المبحث الثاني : شاعرية المتنبي

نجد أن المتنبي شاعر من شعراء المعاني ، وجعل أكثر عنايته بالمعنى ، ولعل قول ابن جني : " فأما اختراعه للمعاني وتغلغله فيها ،واستيفاؤه لها فمما يدفعه ألا ضد ، ولا يستحسن معاندته الأبد "خير شاهد علي قولنا هذا فهو قد خلاْ _إلا في القليل _من القيود التي قيد أبي تمام وشيعته الشعر بها ،وخرج بالشعر عن أساليب العرب التقليدية ، فهو أمام الطريقة الابتدائية في الشعر العربي .ولقد حظي شعره بالحكم والأمثال واختص بالإبداع في وصف القتال ، والتشيب بالأعداء بيان ، وأجادة التشبيه ، وأرسال المثالين في بيت واحد ، وحسن التخلص ، وصحة التقسيم ، وأبداع المديح ، وأيجاع الهجاء.

واهم ما يميز المتنبي : بروز شخصيته في شعره ، وصدق أيمانه برايه وقوه اعتداده بنفسه وصحة تعبيره عن طبائع النفس ، ومشاغل الناس ،وأهواه القلوب وحقائق الوجود ، واغراض الحياه ، لذلك كان شعره في كل عصر مردا لكل كاتب ، ومثلا الواحد من أشعارهم ، بل بالشعر المنفرد من البيت ، لأنه قد عرف بآبياته التي سارت مسير الأمثال.[1]

ويقع النظر علي حكمه وأمثاله حيثما تقلبت أمامه صفحات الديوان بغير أطالة ولا أنعام بحث ،وهي خلاصه تجارب حياة ، بما وسعت من أمل ويأس، وفرح وحزن ، وفلاح وخيبه وحب وبعض وخلاف ووفاق وشعره عند التحقيق أربعه أطوار :

الطور الأول :

يمثل عواطف الشباب ونفثات الألم من الزمان ،وقد نظمه في أنحاء مختلفة من العراق والشام وفلسطين ، ويمتد زمن الحداثة ألي الرابعة والثلاثين من عمره .

الطور الثاني :

شعره في حلب ، نظمه وهو بين الرابعة والثلاثين والثالثة والأربعين ، وهو يمثل عواطف العظمة والقوة والجهاد ، والقلق من الحساد ، كما يظهر في جدر بن عمار ، وأبي العشائر وسيف الدولة .

الطور الثالثة :

شعره في مصر نظمه بين الثالثة والأربعين والسابعة والأربعين ، وهو يمثل غيظه من الماضي ، وآماله الكبيرة بالمستقبل ، ثم مرارته لفشله .

[1] الدكتور: عبدالمجيدديباب - شرحديوانأبيالطيبالمتنبيلأبيالعلاءالمعري (363_449) الطبعةالثانيةالناشر : دارالمعارف،كورنيشالنيل _القاهرةج_م_ع .

الطور الرابع:

شعره في العراق وفارس ،نظمه بين السابعة والأربعين والحادية والخمسين ،أما في العراق فذكر بان سيف الدولة ،وابن العميد ،عضد الدولة .

فنري شعره في الطور الأول يكثر فيه التعقيد اللفظي والمعنوي ، وفي حلب يتكلف أحيانا استعمال الغريب ، للدلالة علي غزاره علمه ، بينما تراه في مصر مختارا كله ، برئيه من السخف واللغو أو كاد .

والمدقق كافورياته يري من جلال المعني ، وجمال اللفظ والصياغة ، ما يشهد انه بلغ به كمال النضج ، ونحن نشاطر بهذا القول : اليازخي وطه حسين وأنيس المقدسي وغيرهم . ويكفي للدلالة علي سهولة شعره أن تراجع القصائد التالية :[1]

1_كفي بك داءً أن تري الموت شافياً ***

**** وحسب المنايا أن يكن أمانيَا

2_فِراقُ ومن فارقت غير مذ مم ***

**** وأم ومن أمت غير ميمم

3_ من الجآزر في زى الأ اعاريب ***

****حمر الحلا والمطايا والجلاليب

4_ أود من الأيام مالا توده ***

وأشكو إليها وهي جندة

5_ أغالب فيك الشوق والشوق أغلب *****

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

6_منىً كنٌ لي إن البياض خطبُ ****

****فيحظى بتبيض القرون شبابُ

[1]الدكتور : عبدالمجيدديابالمرجع : شرحديوانأبيالطيبالمتنبي (مرجعسبقذكره) .

فإن هذه القصائد الكافورية من أسس قصائده وأملأها معنى،وأجملها إيقاعاً ،ومن بدائعه في هذا الطور:ميميته المشهورة في وصف حالة مصر ،ووصف حمى أصابته وهو في الخمسة والأربعين ،فجاءت غاية الغايات منحُسن الانسجام ودقة التعبير .

أما الطور الأخير الذي يمثله شعره في العراقيات الأخيرة ،وفارس ،فهو في عمومه أقلّ جودةً من شعره في حلب ومصر ، ويشعر فيه المتأمل بتراخي نفسه الشعري ،فكأنه بلغ أوج الشعر في الخامسة والأربعين من عمره ولكن مما لا شك فيه أنه كان لفشله في مصر تم ما لاقاه فيبغداد ؛أثر في تخفيف الثائرة الشعرية فيه .

على أن المتنبي الحقيقي إنما هو تلك الصورة التي ترسمها من قراءة حكمه ،إذا كانت الحكمة هي الكلام الموجز البليغ ،الذي يحوي خلاصة نافعة ،وعلماً مفيداً ،وقد تشتهر فتكون مثلاً ،وقولا ذائعاً ،فا لمتنبي في مقدمة شعراء الحكم الأمثال ؛إذ لا تكاد تخلو قصيدة من حكمة ومثل ،بل من حكم وأمثال ،ولعل هذا يفسر ما وصفه بهي القدماء من أنه (حكيم)وهي على وفرتها في شعره أقوى صياغة وأقرب في ولا لتها إلى قلوب الأمم العربية وهواها ،لأن حكمه توافق مساعدهم فهي تدعو إلى محاربة الطغاة ،والفتك بالأعداء ومحاربة الدخلاء ،ووقف الأجانب عند حدهم ، وإنزال الناس منازلهم ، تم بسبب الزمن الذي يرفع الجهلة ، الأوغاد ،يحطّ العقلاء الأبطال !!وذلك كله لأن الأمة العربية كانت منكوبة في عصره _كما قلنا سابقاً _ بالضعف و التفكك والانقسام يتملكها الأجانب ويتحكم في أمرها العبيد والإماء والجنود المرتزقة.[1]

ويحطم كيانها الخلاف السياسي والنزاع المذهبي ،حتى هوت إلى درجة لم تشهرها من قبل !!اللهم إلا ولاية حلب وما يليها فقد كانت علي الرغم من تبعيتها الاسمية للخلافة العباسية ببغداد ،محكومة بأمير عربي يجري في عروقه الدم العربي الأصيل ،ويصدر في أقواله وأفعاله على مثل ما كان عليه آباؤه الأماجد . هو سيف الدولة الحمداني .

ولقد أدرك العرب والناس جميعاً صحة حكم المتنبي .فتداو لتها ألسن الزمان في كل مكان وأصبحت على مرور الأيام أمثالاً يرددها الخاص والعام .

[1] الدكتور : عبدالمجيدديابالمرجع : شرحديوانأبيالطيبالمتنبي (مرجعسبقذكره) .

المبحث الثالث: الحكمة في شعر المتنبي

1_آلةُالعيشِ صحةٌ وشبابُ ***فإذا وليا عنِ المرءِ ولى

الحكمة في هذا البيت أن آلة العيش مراد بها وسائل الحياة وهي الصحة والشباب فإذا فقدهما المرء حسب ميتاً لا لفدام لذته وفائدته

2_إذا أتتِ الاساءةُمن وضيعٍ ***فلم ألمُ الُمسيءَ فمن ألومُ

فجاءت الحكمة في أن لابد من إنزال العقوبة بالمجرم .

3_إذا استقلتْنفسُ الكريمِ ***عقابَها بخبثٍ ثْنتْ فاستَدْبرته بطيبِ

فأراد الشاعر بالخبث الجزع على المصيبة لأنه ليس من أخلاق الخاصة ويقول أن العاقل إذا جزع لمصيبة لا يلين إن يعود إلى الصبر .

4_إذا اعتادَالفتى خوضَ المنايا **** فأهونُ ما يمر بهالوحولُ

المنايا جمع منية والمنية هي الموت ولكن هنا المراد أسبابها ويقول أن من تعود الصبر على الشدائد هان عليه ما دونها .

5_إذا الجودُلم يكسِب خلاصاً من الأذى***فلا الحمدُمكسوباً ولاالمالُ باقيا

يريد الشاعر أن يقول إذا اتبعت إحسانك عن تعاظم على من أحسنت إليه فقد أضعت المال والثوابمعاً .

6_إذاالفضل لم يرفعك عن شكرِنا قصرٍ *على هبةٍ فالفضلُفيمَنْ له الشكرُ

جاءت الحكمة على هيئة نصح أي لا فضل لك إذا انتظرت الشكر على الإحسان لان إحسانك يكون نمه رياء للناس .

7 _إذا ترحَلتَ عن قومٍ وقد قَدَروا***أن لا تفَرِقَهُم فالراحلُونَهمُ

إذا اضطررت للرحيل عن قومك بسبب أمر وكان بإمكانهم دفعه عنك فلا تعد راحلاً عنهم بل هم الراحلون .

8_أصلُ نُق نفس المرءِمن قبلِ جسمِهِ ***وأعرفُهَا في فعلهِوالتحكمِ

الحكمة في أن الشاعر يريد أن يقول أن لا يفرك جمال الظاهر وابحث عن جمال النفس وجمال النفس بذلك عليها القول والفعل .

9_إذَا لمْ تكُنْ نفسُ الكريمِ كأصلةِ ****فماذا الذي تَغَى كرامُ المناصبِ

مواده إن صاحب المنصب السامي إذا لم يكن سامي النسب فإن شرف منصبه لا يكسبه شيئاً من شرف النفس .

1.إذا مَا تأملتَ الزمانَوصرفَهُ ***تيقنت أن الموتَ ضربٌ من القتلِ

يقصد الشاعر إن أسباب الموت جميعها متفقة في النتيجة .

11_أرى الأجدَادَ تغلِبُهَا كثيراً ***على الأولادِ أخلاقُ اللئيمِ

مغزاه إن اختلاط أولاد الكرام باللئام يكسبهم لؤماً يغلب كرم أصولهم "كما قيل :إذا مر النسيم بالزهر ذكا و بالجيفة خبث ".

12_أعيذُها نظراتٌ منكَصادقةً ***أن تحسب الشحمُ فيمن شحمُهُ وَرَمُ

ينهاك عن الاغترار بضخامة المنظر قبل الاختيار لان الورم يشابه السمن و بينهما بون إذاً الأول نتيجة المرض والثاني نتيجة الصحة[1]

13_إن الرياح إذا عمدن لناظرٍ ***أغناه مقبلها عن استعجالِهْ

يريد الشاعر أن يوضح أن السائل لا يستعجل في طلب الشي ويؤمن حق الإيمان أن ما لك سوف يأتيك حقاً فا طلبه برفق .

14_إنما تنجحُ المقالةُ في المرءِ ***إذا صَادَفَتْ هوًى في الفؤادِ

يريد أن يقول إن النصيحة لا تجد ى نفعاً إلا إذا تجاوزت الإذن إلى القلب.

15_أيَا أسَداً في جسمِهِ روحُ ضغيمٍ ***كم أُسْدٌ أرواحُهُنَّ كلابُ

يقول أنت أسد أوتيت قوة الأسد وعضته وكثير من الناس له قوة الأسد وشراهة الكلاب فقصد الشاعر بالأسد الرجل القوى بمنصبه .

[1]المرجع : أمثال المتنبي ، تأليف : يوسف أحمد / مرجع سبق ذكره

16يأْبَي الوحيدُ وجيشهُمتكاثرٌ***يبكى "ومن شر السلاح إلا دمعُ"

يقول إن البكاء سلاح العاجز وحكمة البكاء في انه سلاحاً لما له تأثير القلوب .

17_بذا قضت الأيامما بين أهلِها*** مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ

يقصد الشاعر بما أراده أن سنة الله خرجت في خلقه أن تكون مصيبة بعض الخلق فائدة لبعضهم فائدته :لا بفائدة جاءتك عن مصيبة فتكون مصيبتك فائدة توال .

18- تحاذر هزل المال وهى ذليلة *** وأشهد أن الذل شرهن من الهزل

المتنبي هنا يذم أمه ويقول : إنها تبخل فوق الفقر فيلاحقها ذل البخل وهو أكثر شراً من نقص المال .

19- ترفق أيها المولى عليهم *** فإن الرفق بالجاني عتاب

يريد أن الرفق بالمجرم قد يرده إلى الصعاب ويحمله على اجتناب الجرائم .

2.- تعز حلاوة النفوس قلوبها *** فتختار بعض العيش وهو حمام

يقول إن شهوات النفوس توقع القلوب في ما هو حرام

21- حسن الحضارة مجلوب بنظرية *** وفي البداوة حسن غير مجلوب

يقصد أن محاسن الطبيعة أشهى للنفس من التجمل لان تلك مستمرة وهذا سرعان ما تتغير .

22- خير الطيور على القصور وشرها ** يأوي الخراب ويسكن الناووسا

مغزاه – أم أفاضل الناس يفشون المعابد ونوادي الأدب ومجامع العلم ومواطن الفضيلة والرعاع مأواهم بؤر الفساد ومحال الريب ومواقف الشبه.

23- دون الحلاوة في الزمان مرارة *** لا تختطي إلا على أهواله

يقول أن العاقل يشقى بعقله وهو النعمة الكبرى ومعنى شقاوة انه ملزم بأداء ما يحب عليه نحو دينه وقومه ووطنه على أكمل وجه وأما الجاهل فلا يعبأ بشي من هذا وبما أن الإهمال في هذا الواجب يعد شقاء للنفس فالجاهل منعم ومسرور في هذا الشقاء .[1]

24- ذو العقل بشقي في النعيم بعقله ** وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

[1]المرجع : أمثالالمتنبيتأليف : يوسفأحمد / مرجعسبقذكره.

يقول أن العاقل يشقي بعقله وهو النعمة الكبرى ومعنى شقاوة أنه ملزم بأداء ما يجب عليه نحو دينه وقومه ووطنه على أكمل وجه وأما الجاهل فلا يعبأ بشي من هذا وبما أن الإهمال في هذا الواجب يعد شقاء للنفس فالجاهل منعم ومسرور في هذا الشقاء .

25- سبقنا إلي الدنيا ولو عاش أهلها ** منعنا بها من جيئه و ذهوب

يقول أن موت أناس حياة لآخرين ولولا ذلك لضاقت الأرض بأهلها حتي منعنا من الذهاب و المجيء .

26_عش عزيزاً أو مت وأنت كريم ** بين طعن القنا وخفق البنود

الموت في سبيل الحرية خير من الحياة في سبيل الاستعباد

27- غثاثة عيشي أن تفت كرامتي ** وليس بفت أن تفت المآكل

غثاثة أي رداءة العيش يد أن الفقر لا يحسب نكداً على النفس بل النكد هو ذلها ولو كان صاحبها في سعة من الرزق .[1]

28- على قدر أهل العزم تأتي العزائم ** وتأتي على قدر الكرم المكارم

صانعها والهدية على مقدار مهديها .

29_فإن بك إنسان مضى لسبيه **فإن المنايا غاية الحيوان

يقول أن مآل كل شي وحى للموت .

3._رب أمر أتاك لا تحمد الفعّال ** فيه وتحمد ألافعالا

يقول إن من الناس من يسرك فعله ولا شرك عقيدته .

31_كثير حياة المرء مثل قليلها ** يزول وباقي عمره مثل ذاهب

يريد أن يقول :إن الحياة تختم بالموت فطولها وقصرها في نظر العاقل سيان

32_كريشة في مهب الريح ساقطة **لا تستقر علي حال من القلق

حكمة تضرب أو مثل يضرب للرجل كثير التردد .

[1]المرجع : أمثالالمتنبيتأليف : يوسفأحمد / مرجعسبقذكره.

33_فالموت أعذر لي والصبر أجمل بى **والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

مراده أن القوى مسيطر علي الضعيف .

34_فرب كتب ليس تندى جفونه **وربُ ندى الجفن غير كتيب

قد لا يبكى الحزين لرجاحة عقله وكثير من الناس يبكى لغير حزن وبالتالي فالبكاء وحده لا يكفى لا ثبات الحزن .

35_فصرت كالسيف حامداً يده ** ما يحمد السيف كل من حمده

يقول أصبحت كسيف الممدوح أشكر يده علي جودهاكما يشكره علي استعماله فيما صنُِع من أجله وأيضاً ينطبق علي من يؤدي عمله علي الوجه الأكمل .

36_فطعم الموت في أمر حقير **كطعم الموت في أمر عظيم

فحكمة لمتنبي هنا أن الغاية واحدة وهي الموت .

37_فلا يهم سروراً ما سررت به**ولا يريد عليك الفائت الحزن

مراده أن الصدور سريع الزوال فلا تغتر بهِ والحزن لا يرد فلا تعتمد عليه

38- فلا تغررك ألسنة موال ** تقلبهن أفئدة أعادى

عليك أن تعتمد في المحبة على القلوب لا على الألسنة .

39- فلا قضى حاجته طالب ** فؤاده يخفق من رعبه

مغزاه أن الخائف الجبان لا يدرك أمنيته .

4.- فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله** ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

أي لا عز في الدنيا لا مال له فالحكمة حثت على السعي والعمل ويقول أيضاً لا غنى لمن لا فضل عنده .

41- قد كنت أشفق من دمعي على بصري**فا الآن كل عزيز بعدكم هانا

يريد أن فقد العزيز يهون كل شيء بعده

42- كيف لا يترك الطريق لسيل ** ضيق عن أتيه كل واد

يقصد الشاعر بحكمته هذه أو مثله هذا النهى عن الاندماج في الفتن .

43- لحاالله ذي الدنيا مناخاً لراكب **فكل بعيد الهم فيها معذب

المناخ هو المحل الذي ينتهي أليه المسافر في يومه وينيخ فيه راحلته وقد يكون كثير الهوام والسباع فيمضي المسافر ليله خائفاً معذباً .

44- لعنت مقارنة اللئيم فإنها ** ضيف يجر من الندامة ضيفنا

مقارنة اللئيم أي صحبته تجر وراء الندامة تعباً للنفس والضيف – الذي يتبع الضيف بدون دعوي.

45-لعل عتبك محمود عواقبه ** وربما صحت الأجسام بالعلل

يقول إن العتاب وإن كان مراً فإنه سينتهي إلي إزالة سوى التفاهم كالعلل التي تشفي بعلل أخري كما يفيد الكي بالنار لداء مخصوص .

46- لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد ** بها سرور محب أو أثارة مجرم

جاءت الحكمة مستفهمة والمراد إذا لم تنفع بمالك صديقك أو تقابل مجرمك أو عدوك فلمن تدخره إذاً .

47- لو فكر العاشق في منتهي ** حسن الذي يسبه لم يسبه

العاشق يكون في حكم الرقيق لمعشوقة فإذا فكر هذا المسكين في مصير من أحبه لما ملكه قلبه .

48- ليس يحيك الملام في همم ** أقربها منك عنك أبعدها

أي لا ينفع النصح فيمن جسمه معك وقلبه مع سواك .

49ليس عزماً ما مرضّ المرء ***فيه ليس هماً ما عاق عنه الظلام

المقصود بالمرض – القصر والهمهنا ما تهم به عزماً بفعله في نفسك

يقول : لا تسمي ذا عزم إذا قصرت فيما تريد .

5.- ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه ** أني بما أنا شاك منه محسود

يقول إني أعجب ما رأيته من الدنيا أن الناس تحسدني على ما أشكوه منه وذلك لأنهم يرون ظاهره فقط .[1]

51- ما كل ما يتمنه المرء يدركه *** تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

وهذا دليل على حكمة المدبر إذ لو نال كل متمن ما أراد لفسر نظام الكون

52ما كل من طلب المعالي نافذاً ** لها ولا كل الرجال فحول

أن قليلا من الناس يكون أهلاً لمركز تام .

53- من كان فوق محل الشمس ** موضعه فليس يرفعه شي ولا يضع

أي من بلغ درجة الكمال فلا يرفعه المدح ولا يقدح في رفعته حسد الحاسد

54- من يعرف الشمس لم ينكر مطالعها *أو يبصر الخيل لا يتكرم الكرما

أي صحب الأخيار لا تلذ له صحبة الأشرار

55- نبكي على الدنيا وما من معشر ** جمعتهم الدنيا ولم يتفرقوا

يقول نتسابق على حب الدنيا ونحن نعلم أنها سوف تفرقاً كما فعلت باللذين سبقونا.

56- نحن بنو الموت فما بالنا ** نكره ما لابد نشربه

يقول المتنبي نحن نكره الموت نحن بنوه لأننا وجدنا من العدم فكيف نكره العود إليه ونحن نعلم أن لا بد لنا منه فالحكمة تحث على التزود لهذا السفر الطويل .

57- نصيبك في حياتك من حبيب ** نصيبك في منامك من خيال

أي لا يبق لك حبيب في الدنيا لسيرها إلي الفناء كما تري أشياء في منامك أشياء تسر بها فإذا انتهت لم تجدها .

58- وإذا أتتك مذمتي من ناقص ** فهي الشهادة بأني كامل

أذا أتتك المذمة من نمام فلا يكون نمها إلا عن حسد فإذا ذما أحداً فذلك دليل على كماله .

59- وإذا الحلم لم يكن في طباع ** لم يحلم تقادم الميلاد

[1]المرجع : أمثالالمتنبيتأليف : يوسفأحمد / مرجعسبقذكره.

إذا لم يكن كمال الأخلاق من صفات النفس فإن كبر الشن لا يدعو إلي كمالها .

6.-وإذا الشيخ قال أف فما ملّ **حياة ولكن الضعف ملاّ

إذا رأيت كبير السن يتضجر فلا تظن أنه كره الحياة وإنما هو تضجر للضعف .

61-وإذا الفتي طرح الكلام معرضاً ** في مجلس أخذ الكلام اللام عني

إذا عرض المتكلم بأمر في مجلس فالمقصود بهذا التعريض يفهمه قبل سواه .

62- وإذا سحابة صد حب أسرقت ** تركت حلاوة كل حب علقها

إذا ظهرت بوادر الهجر من المحبوبـصارت عيش المحب مراً .

63-وإذا لم تجد من الناس كفؤاً ** ذات خدر تمنت الموت بعلا

ذات المجد إذا لم تجد كفؤاً تتزوج منه تفضل الموت لأنه استر لها

وإذا ما خلا الجبان بأرض *** طلب الطعن وحده و لنزالا

حكمة تضرب أو مثل يضرب لمن يدعي ليس فيه عندما يجهل حقيقة .[1]

64-إذا وكلت إلي الكريم رأيه **في الجود بان مذيقة من محضة

فالكريم بطبعه يمتاز عند العطاء عمن يضيع الكرم

65-أسرع مفعول فعلت تغيراً **تكلف شي في طباعك ضده

الحكمة في أذا تظاهر المرء بشيء ليس من طباعه فإنه لا يلين أن يعودن طبعه

66-وإطراق طرف العين ليس بنافع **إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

الحكمة في إطراق عين السامع الذي تسدي إلية النصيحة لا يفيده شيا إذا لم يكن صنيعاً لنصحك بقلبه

67-واظلم أهل الظلم من بان حاسد **لمن بان في نعمائه يتقلب

الحكمة في ليس في الناس كثر ظلماً ممن يحسد من يحسد إليه ويغمره

[1] المرجع : أمثالالمتنبيتأليف : يوسفأحمد / مرجعسبقذكره.

68-وأفجع من فقدنا من وجدنا **قبيل الفقد مفقود المثال

الحكمة في أن المفقود الذي يؤسف عليه هو الذي يقل وجود مثله .

69- وأكثر نفسي عن جزاء بغيبة **وكل اغتياب جهد من لا له جهد

لا اسمح لنفسي أن اغتاب من اغتابي لان الغيبة سلاح العاجز

70.-والأسى قبل فرقة الروح عجز **والأسى لا يكون بعد الفراق

المتنبي يريد أن يوضح أن إذا حزنت قبل الموت فهذا عجز منك فا لأسي يكون بعد الفراق "والعاقل لا يليق به أن يحزن علي ميت لأن الموت سائرون .

71- والذل يظهر في الذليل مودة **وأود منة لمن يود الأرقم فالذليل يظهر لك المودة خوفاً منك وابتغاء خيرك وهو في نفسه اعدي لك من الأرقم .

72- والقلب لا ينشق عما تحته *** حتى تحل ب هلك الشحناء

إن قلوب الناس ملآ من الشر على بعضهم ولكن لا يظهر لك إلا التباغض فيأخذ كل من المشاحنين في عد مساوي أخيه فحكمة المتنبي تماثل الحديث الشريف.

73- وإن الجرح ينفد بعد حين *** إذا كان البناء على فساد

فإن الحكمة هنا في قول المتنبي يقصد منها

إذا ختم الجرح قبل تمام نظافته فإن الصديد يجتمع بداخله .[1]

[1]المرجع : أمثالالمتنبيتأليف : يوسفأحمد / مرجعسبقذكره.

الفصل الرابع

الموازنة في شعر الحكمة عند الشاعرين

زهير بن أبي سلمي والمتنبي

المبحث الأول : الموت عند زهير بن أبي سلمي والمتنبي

(أ) الموت عند زهير

الموت في رأي زهير ، قوة جاهلة عمياء لا تقض بعد ترصد ، ولا تتصد فرائسها وفق نظام معقول ،إنها ناقة معصوبة العينين ،تدوس بمناسمها العريضة الباطشة رؤوس الناس ،ومن أخطأته اليوم تدركه غداً لا ينجو منها الشجاع ولا الجبان ،ولا يقي منها حذر ولا حيطة :

رأيت المنايا خيط عشواء من تصب

تممته ، ومتخطىْ ، يعمر ، يهدمِ

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه

وإن يرق أسباب السماء بسُلَّمِ

وهذا التصور يقصد الموت عن الذات إلا لهيه القادرة ، ويجرده من الحس الديني ومن طيوف الإيمان المتر فرقه في شعر زهير وأمثال من الجاهلين ،وتبقى القوة المسيطرة على الموت غامضة أو على قدر يسير من الغموض .

لقد استسلم الشاعر الجاهلي لقوة الموت ،ولم يدرك مصدرها ،فكم بالموت على شي ،ولم يصف بالخلود وثناً يعبده ،ولا صنماً يتقرب به إلى الله ،لكنه خلع جلال الخلود على كل شي لا يدرك ،أو على قوة خفية لا يدركها الحس ،هي قوة الزمان ،فالزمان وحده الخالد ،و الناس والأحياء والأموال إلى فناء .[1]

إن في الحياة لسراً غامضاً يدعّ ظهر الإنسان دعّاً ، ويسوقه سوق الجزار الدابة إلي المذبح ، ثم يلقيه في غيابه العدم .

يقول زهير :

[1] المرجع : الأدبالجاهلي (قضاياه – أغراضه – شعره) تأليف : غازيطليمات – عرفاتالأشقردارالفكر–دمشق.

بدا لي أن الناس تفني نفوسهم *** وأموالهم ولأرى الدهر فانيا

أراني إذا ما بتُّ بت على هوى***وإني إذا أصبحت غادياً

إلي حفرة أهدي إليها مقيمة *** يحث إليها سائق من ورائيا

ولو حكم زهير بالفناء على الجسد ، وصان منه النفس لكان في حكمه شافع لمن توسم فيه الإيمان بالله والبعث والحساب في قوله :

ولا تكتمن الله ما في نفوسكم ***ليخفي ، يكُتم الله يعلمِ

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر *** ليوم الحساب أو يعجل فيُنقم

لكن زهير رأى أن الفناء يدرك النفس في إدراكه الجسد ، وإذا كانت النفس فانية لا باقية ، فما الجوهر الذي يعرض له الحساب والعذاب أو التواب يوم القيامة ؟ وهكذا نستطيع أن نزعم أن الشعر الجاهلي لا ينطوي على تصور الموت مرتبطاً بإله ، يُحي ويميت ، ولنا أن نستنبط من هذا التصور أن حكمة الجاهليين لم تستوعب ما سبقها من فلسفات وعقائد و أديان .[1]

(ب) الموت عند المتنبي

يحضر موضوع الموت في شعر المتنبي حضوراً شاعرياً عميقاً يخترق حدود الزمن والنسبية مستبقاً حركات العصر الذي قُدر له أن يعيشه موقداً جذوة شعرية جديدة الاضطرام لتصبح قصائد أبي الطيب بؤرة نصية متجددة وخصبة تمتلك الكثير من اللهجات الحديثة المنقحة على أكثر من قراءة و تأويل حيث يقتضي البحث عن تجليات الموت عند قصائد المتنبي دراسة الجانب الحيوي من وجود الشاعر لاستجلاء مظاهر العدمية في نصوصه .

ففي إحدى أبياته يقول أن جميع أسباب الموت متفقة في النتيجة :

إذا تأملت الزمان وصرفه *** تيقنت أن الموت ضرب من القتل

وفي بيت آخر يقول إن ألفتنا لهذا الحياة صورت لنا أن الموت لا يطاق حتى أصبح أقبح شي لدينا:

إلف هذا الهواء أوقع في النفس *** إن الحمام مر المذاق

ويرى أن مآل كل حيى للموت إذ يقول :

[1]المرجع : الأدبالجاهلي (قضاياه – أغراضه – شعره) تأليف : غازيطليمات (مرجعسبقذكره).

فإن يك إنسان مضى لسبيله ** فإن المنايا غاية الحيوان

ويقول :

فطعم الموت في أمر حقير *** كطعم الموت في أمر عظيم

أي أن لغاية واحدة وهي الموت .[1]

وأيضاً يقول :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا ** وحسب المنايا أن يكن أما نيا

وهنا يريد أن أكبر المصائب ما فضل الموت على احتمالها ، وفي حديث الترمذي " إذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمح لكم أموركم ستورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كانت أمراؤكم أشراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها :

ويقول :

الموت آت والنفوس نفائس ** والمستعر بما لديه الأحمق

أي أن الموت لابد من أن يأتي ، والنفوس غالية، والمستعر أي المعتز أو المغرور بما يملكه هو أحمق .

ويقول :

كثير الحياة مثل قليلها *** يزول وباقي عيشه مثل ذاهب

يقول غاية الإنسان الموت ، طالت حياته أم قصرت ، وعيشه الباقي إلي إلى نفاد ، مثل عيشه الماضي ، فلم أخاف الموت وأحمل الضيم والذل .[2]

[1] العرفالطيبفيشرحديوانأبيالطيبالمتنبيالمؤلف : الشيخناصفاليازخيالناشر: دارصادر – داربيروتللطباعةوالنشر (1384ه -1964 م).
[2] العرفالطيبفيشرحديوانأبيالطيبالمتنبيالمؤلفالشيخناصف (مرجعسبقذكره).

المبحث الثاني :الحياة عند زهير والمتنبي

(أ) الحياة عند زهير

فزهير الشيخ مل الحياة بعد ثمانين سنة ،وخيل أنها عبء ثقيل لا يطاق احتماله ،وهو _وإن لم يكن يتمن الموت _لم يكن يقبل على الدنيا إقبال الراغب في شهواتها ،الحريص علي امتدادها :[1]

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ***ثمانين حولً لا أبا لك يسأم

(ب) الحياة عند المتنبي

يقول المتنبي :

ومن صحب الدنيا طويلاً

تقلبت على عينيه حتى يرى صدقها كذباً

أي من طالت صحبته للدنيا رأى ظاهرها وباطنها وأمامها وخلفها كالمتقلب على عينه لا يخفى عليه منه ويجوز أن يكون هذا التقلب بأحوالنا من المضرة والمسرة والشدة والرخاء .

ويقول :

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكب

فكل بعيد الهم فيها معذب

قولهم لي الله فلاناً دعاءُ عليه وذمُ لأصله من لحوت العود إذا قشرت ونصب مناخاً على التمييز أي ومن مناخ ،أوعلي الحال يذم الدنيا ويقول باس المنزل هي ،فإن من كان أعلي همةً كان أشد عناءً فيها .[2]

وأيضاً :

إني لأعلم واللبيب خبير

إن الحياة وأن حرصت غرور

---

[1] شرحالمعلقاتالعشرأخبارهاوشعرائها - أحمدالأمينالشنقيطيالناشر : دارالكتابالعربي – بيروتالطبعة : 143.- 2..9مرقمالصفحة (53 – 54).

[2] العرفالطيبفيشرحأبيالطيبالمتنبي - الشيخناصفاليازخي (مرجعسبقذكره).

وقوله واللبيب خبير إشارة إلى أنه لبيب لذلك علم أن الحياة و إن حرص عليها الإنسان غرور يغتر بها الإنسان ، يظن أنه يبقي و تطول حياته كقول البحتري :

وليس الأماني بالبقاء وإن مضت

به عادة إلا أحاديث باطل

وكذلك يقول :

تصفوا الحياةُ الجاهل أو غافل

عما مضى فيها وما يتوقع

ولمن يغالط في الحقائق نفسه

ويسومها طلب المحال فتطمع

أي : إنما تصفو الحياة لجاهل لا يتعقل أحوالها ومصا يرها أو غافل ذُ هل بحاضر ها عما مضى فيها من العبر وما يتوقع من مثل ذلك في نفسه.

وتصفو لمن يغالط نفسه في حقيقة الموت ويمنيها السلامة والبقاء فتطمع في المحال ، ولا تبالي بما ترى من العبر .

المبحث الثالث:الناس والمالعند زهير أبي سلمى وأبو الطيب المتنبي :

(أ)الناس والمال عند زهير

جعل زهير المال وقاية للعرض وحماية من الشتم واربطه تجمع أبناء القبيلة ،قال زهير :

ومن يجعل المعروف دون عرضة **يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن لك ذا فضل ويبخل بفضله **علي قومه يستغن عنه ويذمم

وقد سخر المال لخدمه المجتمع كله ،ودعا إلي تعميم النفع به ،ورأي أن مال الأغنياء يمكن أن يغدو مهراً تخطب بهة السلام .

فقال :وقد قلتها إن ندرك السلم واسعاً **بمال ومعروف من القول نسلم [1]

(ب) الناس والمال عند المتنبي

يقول أبو الطيب :

ولم أر في عيوبالناس شيئاً ** كنقض القادرين علي التمام

أي لا عيب ابلغ من قدر أن يكون كاملاً قي الفضل فلم يكمل أي لا عذر له في يرك الكمال إذا قدر علي ذلك ثم تركه ،والعيب الذم له من الناقص الذي لا يقدر علي الكلام .

ويقول أيضاً :

إذا نلت منك فالمال هين *** وكل الذي فوق التراب تراب

يقول :إذا حصل لي وُدّك فلا أبالي بعده بالمال ، لأن المال لا يقدر له فهو تراب كأصله الذي تولد منه .

فلا ينحلل في المجد مالك كله ** فينحل مجد كان بالمال عنده

فلا مجد في الدنيا لمن قل مجده ** ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وفي هذا نهي عن تبذير المال والإسراف في إنفاقه يقول لا يذهبن مالك كله في طلب المجد مالا يعقد إلا بالمال فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذي كان يعقد بالمال .[1]

[1]المرجع : دواوينالعرب – ديوانزهيربنأبيسُلميللدكتور : محمدحموددارالفكراللبنانيالطبعة : الأولى 1995م.

فأبو الطيب يقول ينبغي أن تقتصر في العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال وتصل إلي الشرف .

وأن دبر مالك ؛ تدبير المحارب الذي لا يقدر على الضرب إلا باجتماع الزند والكف ، فجعل الكف مثلاً للمجد والزند مثلاً للمال فكما لا يحصل الضرب إلا باجتماع الزند والكف كذلك لا يحصل الكرم والعلو إلا باجتماع المال يريد أنهما قرينان .

و يقول :

إذا لجوادُ لميرزق خلاصاً من الأذى

فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

وهنا تبدو روعة الأداء لدى المتنبي حيث يقولأن الجواد يجب أن يكون خالصاً بعيداً عن المن والأذى وأن الجواد إذا رافقه المن فسيكون به أذى وبهذا فلن يكون هناك حمد ولن يبتغي مال فمن يجود بماله فإنه يخسر المال لغرض نبيل .

[1]المرجع : العرفالطيبفيشرحأبيالطيبتأليف:الشيخناصفاليازخي.

المبحث الرابع : نظرات في الأخلاق والسياسة

أ. عند زهير

يرى زهير أنه كان في شبابه أحمق مغلوباً بحرارة الرأس فالدهر كفيل برده إلى الوقار . أما إذا اغلب الحق الشيخ ، فلا شقاء له من دائه ، إذ يقول :

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده ***

*** و إن الفتى بعد السفاهة يحلم

فهل معنى ذلك أن أخلاق الناس عند الجاهليين اكتساب لا طبع ؟ يبدو أن جمهرة الشعراء كانت تميل إلى الحكم على الأخلاق بأنها طبع فلا فطر عليه ، وأن الإنسان عاجز عن مغالبة طبعه ، قال زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ***

***و أن خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ

وفي العلاقات الإنسانية فقد دعا زهير إلى المصانعة ، ورأى أنه لا بد منها في الوادعة المستقرة . إذ يقول :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة ***

*** يضرب بأنياب يوطأ بفسمِ [1]

والوفاء الحق مبدأ يعقبه سلوك ، وقول بشفعه عمل ، و أو في الأوفياء الغيور على الصديق ، المقيم على العهد ، السريع إلى الحق والبر في غير تردد . قال زهير :

ومن يوف لا يذمم ، ومن يهد قلبه

إلى مطمئن البر لا يتجمجم

وأيضاً يقول:

وللنفس أخلاق تدل على الفتى

***أكان سخاءً ما أنى تساخيا

هنا يريد المتنبي أن يقول أن السخاء هو خلق جيد عند الإنسان مثله مثل ما في الصفات فالصدق خلق ، والوفاء ، والعدل والأمانة .....الخ) .

كذلك فإن السخاء خلق فلهذا فإن نجده عند الإنسان صاحب الأخلاق الحميدة الجيدة فمن كانت أخلاقه عاليه فلا تستبعد عنه السخاء ، بل فإن السخاء يكون لدى الإنسان الجيد .

ويقول :

إذا أنت لم تقصر على الجهل والقنا

[1] المرجع : الشعر الجاهلي (قضاياه – أغراضه -شعره) للدكتور : غازيطليمات – والأستاذ عرفاتالأشقر.

أصبت حليماً أو أصابك جاهل

هنا المتنبي يهديه عقله إلى أن التسامح خير من الملاحاة والخصومة ، لأن العتاب قد يؤدي إلى تنافر القلوب أما الأعضاء عن الذنب فقد يدفع المذنب الكريم إلى الندم والتوبة . والتسامح و الإغضاء من صفات الأخلاق الحميدة والجميلة .

ب. عند المتنبي

يقول :

وكل امرئً يولى الجميل محبب *** وكل مكان بنيت الطيب طيب

المعنى : يقول : كل امرئ تعود على فعل الجميل وبسط الكف محبب على الناس ، ستميل نفوسهم بإحسانه ، و المرء الترف والعز ، فهو المكان الطيب .

وكذلك يقول :

وما الحسن في شرف الفتى شرفاً له

إذا لم يكن في فعله والخلائق

إذا لم يحسن فعل الفتى وخلقه لم يكن حسن وجهه شرفاً له كما قال العذارى :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها

إذا لم يزن حسن الجسوم عقول

وكما قال العباس :

فما عظم الرجال لهم بفخر ***

ولكن فخرهم كرم وخير

ويقول :

إذا قيل رفقاً قال للحلم موضع ***

وحلم الفتى في غير موضعه جهل

أي أنه إذا أمر بالرفق بالأقران وقيل له أرفق رفقاً ، قال : موضع الحلم غير الحرب يعني أن الرفق والحلم يستعملان في السلم ، أما الحرب فلا رفق فيها بالأقران والمحتلم فيها جاهل .[1]

[1] المرجع : أمثالالمتنبيتأليف : يوسفأحمد (مرجعسبقذكره).

التوصيات والمقترحات:

1. إكمال البحث في شعر الحكمة بين زهير بن ابي سلمى والمتنبي في الجوانب الأخرى في الصورة البيانية والأوزان والقوافي وفي علمي البديع والمعاني.
2. دراسة ملائمة اللفظ للمعنى في حكمة زهير والمتنبي.

ومن الصعوبات في هذا البحث معرفة كيفية الموازنة بين الشاعرين.

المصادر والمراجع:

1. "شرح المعلقات العشر و أخبارها وشعرائها" الطبعة 1435-2..9م للدكتور أحمد بن الأمين الشنقيطي الناشر دار الكاتب العربي بيروت .
2. دواوين العرب – ديوان زهير بن أبى سُلمى تأليف : لدكتور محمد محمود دارالفكر اللبناني بيروت – الطبعة الأولى 1995م .
3. الدكتور غازي طليمات والأستاذ عرفات الأشقر المرجع: الأدب الجاهلي (قضاياه – أغراضه – أعلامه - فنونه) ط2 مصححه – دمشق دار الفكر الطبعة.
4. الدكتور : محمد حمود: " دواوين العرب – ديوان زهير بن أبى سلمى ".
5. المرجع : ديوان أبو الطيب المتنبي راجعه وفهرسه : د/ يوسف الشيخ محمد الناشر : دار الكتاب العربي : (بيروت لبنان) الطبعة.
6. الدكتور: عبد المجيد دياب - شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري الطبعة الثانية الناشر : دار المعارف ، كورنيش النيل _القاهرة ج_م_ع .
7. دواوين العرب – ديوان زهير بن أبي سُلمي للدكتور : محمد حمود دار الفكر اللبناني الطبعة : الأولى 1995م.
8. العرف الطيب في شرح أبي الطيب تأليف:الشيخ ناصف اليازخي.